لفظة الحَسد في مدائح الفازازي النبوية

- ديوان الوسائل المتقبلة انموذجاً -

طالب الدكتوراه أحمد مهدي حمد

قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة فردوسي ـ مشهد إيران

ahhamad@uowasit.edu.iq

الأستاذ المساعد الدكتور عباس طالب زاده شوشتري (الكاتب المسؤول)

قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب جامعة فردوسي مشهد ـ إيران

Shoshtari@ferdowsi.um.ac.ir

الاستاذ المساعد الدكتور أمير مقدم متقي

في قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب جامعة فردوسي مشهد ـ إيران

a.moghaddam@ferdowsi.um.ac.ir

الاستاذ الدكتور علي عز الدين الخطيب

قسم اللغة العربية ـ كلية التربية الأساسية ـ جامعة واسط

aizaldeen@uowasit.edu.iq

The word envy in the prophetic praises of Al-Fazazi "Diwan of Acceptable Means as a Model"

PhD student AHMED MAHDI HAMAD

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Ferdowsi University, Mashhad, Iran

Assistant Professor Dr. Abbas Talibzadeh Shoushtari (Responsible writer)

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Ferdowsi University, Mashhad - Iran

Assistant Professor Dr. Amir Moghadam Mottaki

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Ferdowsi University, Mashhad - Iran

Prof. Dr Ali Ezz Al-Din Al-Khatib

Department of Arabic Language and Literature - College of Basic Education - University of Wasit

الملخص:-

شعر المديح النبوي هو الشعر الذي انشد في حق النبي محمد i ، والتغني بصفاته و إظهار الشوق لرؤيته و زيارة قبره، مع الوقوف على معجزاته المادية والمعنوية، وذكر صفاته المثلى والصلاة عليه تعظيماً وتقديراً، وقد يظهر الشاعر تقصيره تجاه النبي i وانشغاله بملذات الدنيا، لذلك هو شعر من منظور ديني يهدف إلى تسليط الضوء على شخصية عظيمة من شخصيات التاريخ الإسلامي، ويعتبر الفازازي واحد من أهم شعراء المديح النبوي في الأندلس لما قدمه من نصوص شعرية تتغنى بها الاجيال إلى يومنا هذا، وما امتازت به من سهولة ووضوح، وقد وردت لفظه (الحسد) كثيراً في ديوانه، وهذه اللفظ التي كان الفازازي ذكياً في توظيفها داخل النص الشعري فقد استعمل انسب المفردات للتوظيف و انسب الردود على الحساد الذين احاطوا به وكان رده بأسلوب جميل و ذو منطق نابع من تجربة إسلامية قائم على الرد و الافهام لا على التعصب و الانهزام وراء شخصية عظيمة كشخصية النبي i .

الكلمات المفتاحية: المدائح النبوية، الفازازي، الحسد، الوسائل المتقبلة.

Abstract:-

The poetry of praise of the Prophet is the poetry that was sung for the Prophet Muhammad (peace be upon him), and to sing of his attributes and to show longing to see him and visit his grave, while standing on his material and moral miracles, and mentioning his ideal qualities and praying for him in reverence and appreciation. The poet may appear his shortcomings towards the Prophet (peace be upon him) and his preoccupation with worldly pleasures, so it is poetry from a religious perspective that aims to shed light on a great personality of Islamic history. Al-Fazazi is considered one of the most important poets of prophetic praise in Andalusia for his poetic texts that generations sing to this day. This, and what was characterized by its ease and clarity, and the word (envy) was mentioned a lot in his poetry, and this word that Al-Fazazi was clever in employing within the poetic text, he used the most appropriate vocabulary for employment and the most appropriate responses to the envious who surrounded him. His response was in a beautiful manner, has a logic that stems from an Islamic experience and based on response and understanding, not on fanaticism and defeat behind a great personality like the personality of the Prophet (peace be upon him).

Keywords: Prophetic praises, al-Fazazi, envy, receptive means.

المقدمة:ـ

يعتبر الأدب الأندلسي واحة كبيرة للدراسات و وسيلة هامة من وسائل الجذب لدى الدارسين لما يتمتع به من خلفية حضارية و جمالية تستحق الوقوف عندها و خصوصاً بين تفاصيل الابيات و الكم الهائل من الاشعار و الاثار النثرية، و يعد الفازازي احد أعلام هذا الأدب، و بعبارة ادق هو احد ركائز المديح النبوي في المغرب الإسلامي فقد كان ذو صيت في مدائحه النبوية ولما امتاز به ن مميزات دفعت الأمراء و الخلفاء إلى توليته أمور الكتابة عندهم و قد اورد للمديح النبوي ديوان خاص بها أسماهُ " الوسائل المتقبلة " حيث رتب هذه الديوان و رتبت قصائده على وفق حروف المعجم العربي من الألف إلى الياء و على وفق أشكال هندسية أندلسية .

وقد تحررت هذه القصائد من نظام الهيكلية العربية القديمة في بناء القصيدة سعياً منهم للتفوق و البروز على حساب أهل المشرق و قد تميزت هذه الأشعار التي قيلت في خير البشر بالصدق ووضوح العبارات و ابتعادها عن الغموض و المبالغة و الغلو كما تمتاز بالايجاز وهو أسلوب تميز به الفازازي عن بقية شعراء المديح النبوي.

هذا من جانب و من جانب اخر نجد لفظه الحسد تتكرر كثيراً في سطور المديح النبوي عنده و هذا التكرار جديد عند شعراء المديح و يبعث عن الاستغراب و الفضول و البحث وراء دوافعه و اسبابه، ويشير الفازازي في كل قصيدة إليه، و هذه الحسد نابع من مكانته الاجتماعية و العلمية و قول الشعر الجيد و الاتصال بالامراء و الخلفاء و ما ترتب عنه من منفعة اجتماعية و مكانة مرموقة بينهم، وبمرور الوقت ترك كل هذه و اعتكف على العلوم الدينية و المديح النبوي فولد شئ من الحسد و اللوم له، وقد جمع الشاعر بينهما و لم يترك القصيدة تقتصر على الحسد و اللوم بل اخذ يضيف لهما أسلوب الرد العقلي و النقلي بأسلوب علمي يبتعد عن المبالغة، فهو يسأل و يذم الحساد في الابيات الاولى ثم يبرهن لهم في الابيات التالية من القصيدة، و هذا الشئ نجده في اغلب قصائده، و لابد ان نشير إلى أن الدراسات التي وجهت نحو المديح النبوي في الأندلس لم تدرس كما في نظيرتها المشرقية و لم يتم تسليط الضوء على كبار الشعراء المديح و منهم الفازازي الذي يعتبر احد اعلام المديح النبوي في الأندلس .

التمهيد:

كان غرض المديح من بين الاغراض الشعرية التي أولوها العرب اهمية كبيرة و استولت على عرش القصيدة العربية، فالعرب عمدوا منذ العصر الجاهلي إلى التنويه في أشعارهم إلى ذكر اشرافهم و ذوي النباهة منهم وذكر خصالهم النبيلة و الشجاعة و الكرم و إلى الكثير من الصفات الحميدة.

و يمكن تعريفه لغوياً " المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء يقال: مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحا ومدحة هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم، والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح"[١]، وكذلك عرفهُ الزمخشري بأنهُ: " وصف الممدوح بأخلاق حميدة، وصفات رفيعة يتصف بها، فيمدح عليها، فهذا يصح من الخالق جلّ شأنه "[٢]، وفي المستطرف : " وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها ويكون نعتا حميداً وهذا يصح من المولى في حق نبيه محمد i "[٣]، و قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤].

ومن هذه الاهمية الكبيرة لغرض المديح انطلقت أقلام شعراء الإسلام و شكلت لون أدبي جديد استثمر للدفاع عن الرسول أولاً و الإسلام ثانياً، و من مميزات هذا الفن الجديد انه امتاز بالصدق العاطفة و التأثير الكبير في نفوس متلقيه.

أما المدح **اصطلاحاً**، قد عرف عند العرب منذ القدم بحسن الثناء و التقدير و تخليد القيم و الاخلاق، و المديح من أقدم الفنون الادبية فقد عرفته الشعوب منذ البدائة وكما يقول الدكتور بدوي طبانة منذ أن عرفوا: " تلك الطبيعة في الانسان اتخذوها سبباً إلى الأقوياء ووسيلة إلى أصحاب السلطان ليحتموا بقوتهم ويحيوا في ظلال نعمتهم وأولئك يمدون لهم في حبل العطاء، ليشيعوا محامدهم في الناس فيمتد سلطانهم ويسبق ذكرهم "[٥]، فالمديح هو فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عامل العاطفة و الاعجاب ويعبر عن شعور تجاه شخص أو اشخاص أو جماعات، ويثير روح الإكبار و الاحترام لمن جعله موضع مديحه، ونظرة المادح إلى الممدوح تشترك مع الناس جميعا في النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والغني والأمير نظرة خاصة فيها الكثير من الإجلال و الاكرام، يعبر فيها صاحبها عن ذاته بما يتوفر لديه من ضروب القول والحديث والبيان شعراً و نثراً[٦].

واذا تتبعنا تاريخ المديح النبوي نجده نشأ منذ ولادة النبي i فلأمه أمنة بنت وهب ابياتاً في مدحه عندما سلمته لمرضعته حليمة السعدية وكذلك ما قاله عبد المطلب عند ولادة محمد i ، إذ شبه ولادته بالنور المشرق الوهاج الذي أنار الكون، إذ يقول:

(وأنـــت لمـــا ولـــدت أشرقـــت الأرض وضـــاءت بنـــورك الأفـــق)[٧]

وقد مدح أبا طالب الرسول i في لاميته المشهوة و التي اعتبرت من غرر الشعر العربي، يقول ابن سلام الجمحي فيه أن " أبا طالب كان شاعر جيدا، ويعده من أبرع شعراء مكة "[٨]، وله قصيدة لامية تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في شعره أنه لن يتخلى عن النبي i ولن يتركه لشيء حتى يهلك دونه، وهي القصيدة الوحيدة التي نص محمد بن سلام على أنها "أبرع ما قاله أبو طالب"[٩]، والتي يقول في مطلعها:

ولمـــا رأيـــت القـــوم لاودّ فـــيهم وقـــد قطعـــوا كـــل العـــرا و الوســـائل

وقـــد حـــالفوا قومـــاً علينـــا أظـــنّه يعضـــون غيظـــا خلفنـــا بالأنامـــل[١٠]

والخلاصة ان شعر المديح هو ذلك الشعر الذي أنشد في مدح النبي i ، وذكر صفاته الخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول i ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته عن طريق الأشعار، والإشادة بغزواته، واستقصاء صفاته المثلى، والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة، ويعدد كثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف، مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة.

المبحث الأول

ترجمة حياة الفازازي

اسمه وحياته:

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازازي، يكنى أبا زيد القرطبي ولقب بالفازازي نسبة إلى جبل فازاز الموجود بمدينة مكناسة[١١]، و زاد في اسمه تلميذه النبيه إبن الفخار الرعيني إذ قال " أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد بن

يخلفتن بن أحمد بن تنفليت بن سليمان الفازازي "[١٢].

وأسرة الفازازي هي أسرة معروفة و مشهورة في بلاد المغرب العربي وهي من قبائل البربر، و ولد شاعرنا في قرطبة سنة (٥٥٠ هـ/١١٥٥م)، و نشأ و تربى فيها و كان أبوه قاضياً في نفس المدينة و نشأته كانت في بيت علم و دين، فتعلم على يد والده سعيد ثم على جمهرة من مشيخة قرطبة و الأندلس، امتاز بالقدرة على الحفظ و الذكاء و بالمناظرة، ثم عاد بعد ذلك إلى تلمسان حيث كان الفازازي محباً للتجوال داخل الأندلس و خارجها و كان هذا التجوال لا ينسه حبه للمدينة التي عشقها فيقول:

(أهـــوى تلمســـان و ســـكانها لـــو كـــان في الكـــون اختيـــار)

وكان هذا الحب لا يفارقه فنجد حنينه إلى هذه المدينة في قصائد كثيرة، و لم يحدد الباحثون طول المدة الزمنية التي عاشها في مدينة تلمسان، ولكن يمكن الاستنتاج انه قضى فيها فترة التعلم و دراسة العلوم الدينية، ثم اخذ بالتنقل في مدن المغرب ثم دخل بلاد الأندلس ولم يستقر في مدينة معينة فكانت تنقلاته من أشبيلة إلى قرطبة ثم إلى ملقا ثم غرناطة، يطلب العلم و التقرب للولاة و ينشأ مجموعات و نصوص شعرية و نثرية كانت ذات طابع ديني[١٣].

وكان الفازازي من الشعراء المحسنين ذو بلاغة و فقيهاً متكلماً بأسلوب لغوي جميل، وكان هذه الاسلوب ذو طبعة صوفية، وكان يطلب العلم شغفاً وحباً وحرصاً، من مميزات الفازازي انه كان ذو سرعة بديهية و ارتجال في النظم شعراً ونثراً[١٤].

وقد برزت نصوصه الادبية فتولى الكتابة في بلاط الموحدين، فاختص بالسيد أبي أسحاق بن المنصور الموحدي والي إشبيلية ثم غرناطة، ثم اتصل بأخيه ابي العلاء المأمون، وقد اعجب اهل التراجم بأسلوبه وبراعته في الكتابة و الشعر و علاقته بالموحدين قد استمرت فترة ليست بالقصيرة و انتهت هذه العلاقة بعد ان وقع الخلاف بينه وبين ابي العلاء فأقعده الاخير فترة من الزمن في بيته قدرت بشهور طويلة.

وأجادَ الفازازي الكتابة النثرية على غرار نظمه للشعر، فقد عمل للواعظ أبي عبد الله بن الحجام خطبأ، و لاقت أشتهاراً كبيراً بين الناس، حيث قام الأخير بجمعها في كتاب

وأسماه (حجة الحافظين و محبة الواعظين)، و كذلك أنشأ الكثير من الرسائل الإخوانية و السلطانية، و قد احصى عبد الحميد عبد الله الهرامة الذ حقق آثار الفازازي ما بين يديه من أعمال منظومة فوصلت إلى (١٧٣) بين قصيدة و مقطوعة عدد أبياتها اكثر من (٢٦٥٦) بيتاً، و أما الرسائل فقد احصى منها ٢٦ رسالة للفازازي[١٥].

التأثر و التأثير:

نقصد بالتأثر و هو شيوخ الفازازي الذي تلقى العلوم الاولى على ايديهم والتأثير هم تلاميذه، فقد روى الفازازي عن كثير من المشايخ وكان اول ما روى له هو ابوه ابي سعيد وروى عن أبي الوليد واخذ من الحافظين السهيلي والفخار وأبي عبد الله التجيبي وغيرهم[١٦]، فملئ منهم ما كان يحتاجه من علم الحديث والفقه و العلوم الاخر.

كذلك أقبلَ على الصحيحين وسيرة ابن هشام، كما درس معاجم الصحابة للبغوي والكثير الكثير من الكتب، واقبلَ على محدثي القرن السابع الهجري وكان في طليتهم الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي وابن خلف الحافظ والصائغ وأبي الصبر السبتي[١٧].

أما تلاميذ الفازازي فقد كان ابن الفخار الرعيني في مقدمتهم و أشهرهم إذ يقول: "وقد اخذت عنه كثيراً من كلامه سماعاً من لفظه و قراءةً عليه، و اجاز لي حمل ما رواه وما له من نظم و نثر، و بالجملة فقد كان من مفاخر زمانه[١٨].

وقد كانت القبائل و أشراف المغرب و الأندلس ترسل أبنائها للفازازي من أجل اكتساب المعارف و العلوم المختلفة، فقد كانت صلة التواصل بينهم جيدة فعقدت صلات بين الفازازي و أعلام الأندلس و كانت موضوعاتها وصايا علماء بني عذرة للفازازي بأن يهتم بأولادهم الوافدين إليه في مدينة قرطبة، و رعايتهم بهدف طلب العلم، و كانت تحتوي هذه المراسلات على إشادة كبيرة لما يقوم به الفازازي في خدمة الطلبة الوافدين عليه من قرطبة[١٩].

وفاته:

قبل الحديث عن هذا الموضوع لابد لنا من تحديد عصر الشاعر، فقد عاش الفازازي أغلب حياته تحت الحكم الموحدي و هذا الحكم الذي يمثل مرحلة مهمة من مراحل التطور

العلمي في بلاد الأندلس و المغرب، فقد كانت هذه الفترة حبلى بالكثير من الكتاب و المفكرين الذين برزوا فانعكس ذلك على الشاعر فقد كانت فترة ازدهار علمي و تبادل فكري بين العالم الإسلامي و المسيحي[٢٠]، و كانت نتيجة هذا الازدهار شيوع الخزانات العلمية في عهد الموحدين، و اقبال الناس على شراء الكتب، فضلاً عن ازدهار المعاهد العلمية و الاهتمام بالفنون و العمارة و الطب، و كان هذا العصر عصر ذا رسالة دينية و عقيدة و فكرة، و هكذا كان الفازازي من من أبناء العصر الموحدي الذي له شأن لا يقل عن عصور إزدهار الأندلس من العلوم و المعارف.

توفيً شاعرنا في مراكش و هي مدينة من مدن المغرب العربي، عندما قدمَ إلى هذه المدينة سنة سبع و عشيرين و ستمائة، أي بعد انهاء عقوبته التي فرضت عليه من قبل الامير الموحدي ابو العلاء المأمون، و كانت و فاته في شهر ذي القعدة بعد ثلاث أشهر من قدومه إليها، و ذكر ذلك أوثق الرواة و أقربهم لعصر الأديب[٢١]، و للفازازي ابناً واحداً، هو ابو عبد الله محمد، ذكره ابن الخطيب ضمن من روى عن أبي زيد من تلاميذه[٢٢].

المبحث الثاني

ديوان الشاعر و الموضوعات و الاغراض:

ظل اسم الفازازي مقترناً منذ البداية بمدائحه النبوية، و التي اقبل الناس عليها وخصوصاً عشرينياته والتي سيأتي الحديث عنها في المبحث التالي، وللفازازي نصيب كبير ودور فعال في ميدان العلوم والآداب، فقد وجد جزء وضاعت اجزاء للأسف الشديد.

وهناك اشعاراً اخرى للفازازي لم يسلط الضوء عليها و هي غير المدح النبوي، فهي أعمال منظومة و منثورة، في نصوص نفيسة من نتاج ابي زيد الفازازي، وتعود أهمية هذه النصوص إنها عكست شخصية الفازازي التي جمعت بين السياسة و الثقافة الدينية واللغوية والزهد والإبداع الأدبي، وهناك سبب اخر يعطي هذه النصوص أهمية كبيرة، هو أنها تقدم بعض أدبيات احد جانبي الصراع الفكري في القرنين السادس والسابع بين الفقهاء والمتصوفة والمحدثين من جانب وبين الفلاسفة والملحدين وأهل البدع من جانب اخر، وهذا الصراع كان الفازازي فيه طرفاً فيه، نجد في قصائد ابي زيد الفازازي اشارة إلى هذه الموضوع فيقول:

ودع الفلاســـفة الـــذميم جمـــيعهم ومقـــالهم تـــأتي الأحـــقّ الواجبـــا[٢٣]

وضع ابي زيد الفازازي اعمال ادبية كثيرة تتوزع بين الزهد و المدائح و المواعظ والشفاعات، وقد جمع الباحثون هذه الاعمال فبلغت ثلاثة و سبعين و مائة عمل بين قصيدة و مقطوعة، عدد ابياتها يزيد عن ستة و خمسين و ستمائة و ألفي بيت، أما الرسائل فقد احصى الباحثون منها ستاً و عشرين رسالة تبلغ في مجملها مائة و تسعة عشر سطراً.

و يمكن تصنيف مؤلفات الفازازي إلى:

١- ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي i ، وهي عبارة عن قصائد العشرينية التي قالها ابي زيد الفازازي في قرطبة سنة (٦٠٤) للهجرة، ورواها الحافظ يوسف مسدي المهلبي في شهر شعبان سنة (٦٢٤) للهجرة، وقد خمسها الشيخ أبو بكر بن مهيب، و انتشر هذا التخميس في ربوع الارض، و اخذ المسلمون ينشدونه في المولد النبوي الشريف، و زاد اقبال الناس عليها فكثرت الطبعات و تكرر النشر في طبعات غير محققة في مصر و نيجيريا وبيروت، ولهذه العشريات تخميس اخر لشخص مجهول في الموصل، و قيل عنه ايضاً " و لأن هذا الكتاب كثير التداول في السودان لصقت بصاحبة أسطورة أنه رسول الإسلام هناك "[٢٤].

٢- القصائد العشريات: هي قصائد متساوية مرتبة على وفق المعجم الأندلسي يشمل كل منها عشرة أبيات، يبدأ البيت منها بالحرف الذي يقوم عليه رويها، و هذه المعشرات مخمسة كالعشريات، غير أن موضوع العشريات هو المدائح النبوية، أما المعشرات تتكلم عن الزهد و المواعظ، و قد شرحت عباراتها المجازية و تم تفسير ألفاظها اللغوية من قبل الشيخ محمد الزهري الغمراوي، إذ الملاحظ عليها بناءها الأسلوبي و ما يتميز به من جزالة في اللفظ و الغرابة، فقد رصعها المؤلف كما نقل عن الشيخ الغمراوي بغرابة اللغة العربية و أساليب عجيبة.

٣- قصائد الشوق و الغرام: تم ذكر هذه القصائد في كتاب تاريخ الأدب العربي، حيث ذكرت بروكلمان مكان وجودها و وجود نسخ منها في فهرست الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية.

٤ - مجموعة من الخطب التي كتبها لابن الحجام الواعظ، فقام بجمعها في كتاب كبير سماه (حجة الحافظين و محجة الواعظين)، ثم اختصر ابو زكريا بن طفيل في كتاب تحت مسمى (أنوار مجالس الأذكار و أبكار عرائس الأفكار)[٢٥].

وإلى جنب هذه الخطب كتب ابي زيد الفازازي لابن الحجام مجموعة من الاشعار تفتتح بها المجالس، وما أسماه بمجالس وعظ حيث ينقل محمد بن عبد الملك من لفظ الفازازي.

٥ - الطرر التي ردَّ بها الفازازي على المكلاتي و قال عنها الهرمط في اثاره انه من المهرة في علم الكلام و أصول الفقه و الفازازي مشارك فيهما، فيحتمل أن تكون المعارضة في احداهما.

٦ - و قد وردت الإشارة في برنامج الرعيني إلى معشراته الحبية و الزهدية و هما مختلفتان في الموضوع، و يظن عبد الحميد الهرمط من خلال كتابه أثار ابي زيد الفازازي ان المعشرات الحبية هي قصائد الشوق و الغرام، اما المعشرات الزهدية فقد سبقت الإشارة إليها باسم القصائد العشريات.

٧ - خطابته عن الامراء و الولاة و هي مخاطبات للفازازي صادرة عن الأمراء وهي تتمثل ب (الحضرة الامامية عن بعضهم - لبعضهم وغيرها)، ومن مخابات الفازازي الصادرة عن الأمراء كتب للحضرة عن بعضهم و المقصود بالحضرة هي حاضرة الخلافة في عهد الموحدين.

٨ - مجموعة من الرسائل الاخوانية، يعتقد انها محدودة، أو كما عبر الجامع في مقدمته بقوله " و له رضي الله عنه من فوائد القصائد في ضروب الفوائد، وشذور المنثور في الإعجاز و الصدور جملة و افرة غير الذي أثبت تشذ عن الحصر و يعترف لها بإحراز الإعجاز نبهاء العصر، و إنما دللت على نير صاحبها بغلس و اكتفيت ضرورة عن نفخات أزهارها بنفس "[٢٦].

٩ - ورد في رسالة منه إلى البلوى و صحبه ما يفيد أنه شارك في نظم الموشحات، فيقول الفازازي: " فأما ما عرّض به السادة (أعلى الله أقدارهم) من بعث الموشحة التي

قصدت بها الشكر لا الذكر فكيف وقد أكسبتني رؤية الفضلاء العقلاء "[٢٧].

والعديد من المواضيع ذات النزعة الإسلامية الصوفية، فقد كرس أشعاره خدمة للإسلام والمسلمين والدفاع عنهم، وركز في أشعاره على تقوية النفس و الابتعاد عن المعاصي، فالمتلقي لشعر الفازازي يلمس الجانب الوعظي والأرشادي حيث ادرك الفازازي اهمية هذا الجانب فركز عليه في نتاجه الادبي، لما لها من إسهام كبير في خدمة المجتمع الإسلامي، و على وجه العموم كان الطابع الديني هو المسيطر على النزعة الوعظية لدى الفازازي.

وكان الفازازي من ضمن الشعراء الملتزمين بالتعاليم الدينية فهو يمثل عماد للسلوك الاتباعي القويم الذي جاء به الإسلام، فلا يترك الفازازي مناسبة إسلامية إلا و ترك له بصمة أدبية شعراً كانت ام نثراً.

المبحث الثالث

المديح النبوي عند الفازازي

بعد ان انهينا الحديث عن ابرز القضايا التي تتعلق بحياة الشاعر و عن ابرز الموضوعات والاغراض الشعرية بشكل عام ندخل الان إلى الموضوعات الابرز في الدراسة وهو ما يتعلق بموضوع المديح النبوي الذي يمثل الجزء الاكبر من اشعار الفازازي.

من يتبع شعر المديح النبوي عنده يجد له جانباً مهماً و غنياً جداً فقد فقد احتل مساحة كبيرة في نظمه، فالمديح النبوي عنده و عند بقية شعراء الأندلس لم يكن بالشكل المعروف في المشرق بل كان هناك اشكال مختلفة عند أهل الاندلس كالعشرينيات والمخمسات، والفازازي الذي وصفه المقري " بأنه صاحب الأمداح في سيد الوجود "[٢٨]، و هذا يدل على التميز في طرح و تقديم قصيدة المدح النبوي عند الأندلسيين و الذي وصل إلى ادوار متقدمة، على عكس أهل المشرق الذين بقوا على الأسلوب نفسه وشكل القصيدة العربية القديمة، فقد كان هم الشعراء الأندلسيين وعلى رأسهم الفازازي الذين كانوا يبغون العلو و الرفعة و التقدم على المشارقة في جميع النواحي الأدبية.

وكما أشرنا في بداية حديثنا أن الفازازي أولى المديح جل أهتمامه، حتى وصل به

الحال إلى وضع ديوان كامل في مدح الرسول i به عشرينياته، و لم يكتف بهذا بل وضع ديوانين في نفس الموضوع، كان الأول بعنون " الوسائل المتقبلة في مدح النبي " و ألفه في سنة (٦٠٤هـ)، و نظام هذا الكتاب كان على شكل مخمسات على حروف الهجاء و هذا المخمس قد يشمل إلى عشرين دوراً، وقد يقلل عدد الادوار فيه إلى عشرة.

وقام بشرحه محمد الداغري في كتاب سماه " النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية "، و الديوان الاخر كان على شكل قصائد في الشوق في مدح الرسول i وقد اعجب به المقري و شهد له ببراعته في نظم هكذا اشكال شعرية في مدح خير البرية فيقول في ذلك : " إن له في مدح النبي i بدائع قد خضع البيان و سلم، و أعجز بتلك المعجزات نظماً و نثراً، و أوجز في تجهيز تلك الآيات البينات فجلا سحراً "(٢٩).

وفي عقيدة الفازازي و التي هي في رأي اغلب الباحثين هي عقيدة صوفية، رأى ان مدح النبي i من الفرائض و رضا لله سبحانه و تعالى و نجد هذا الشيء واضح في شعره فيقول:

رضى اللهِ حتمٌ في امتداحِ نبيه ... واللهِ خُلصانٌ و لا كصفيهِ

مُحمدِ المختارِ منهم و ليهِ ... ثغابُهمُ قد أفهقت بأتيهِ

فكم تائهٍ عن وردها وهو يلهثُ (٣٠)

وان المطلع على شعر المديح النبوي عند الفازازي يجد انه يدور حول موضوعات معينة في شخصية النبي i وان هذه الموضوعات هي شاخصة وبارزة للمتلقي وأول هذه الموضوعات هي:

١- **اخلاق رسول الله i وصفاته:** نجد الكثير من هذه الاوصاف والصفات في شعر الفازازي كيف لا وهو البشير النذير و الوارد في محكم التنزيل " **وإنكَ لعلى خلقٍ عظيم** "(٣١)، و الفازازي لم يترك شئ في شخصية الرسول i إلا ووصورها في شعره ومدحها مدحاً يليق بمكانته في قلوب المسلمين، و أول صفة تغنى بها الفازازي عند رسول الله i هي الشجاعة، وهذه الصفة من أفضل

الصفات التي يمتدح بها الرجال، لأنها عنوان بارز للقوة و الاقتدار و كما ورد في الحديث النبوي الشريف " **المؤمن القوي خير و احب إلى الله من المؤمن الضعيف**"(٣٢)، ومن عادات العرب الشعرية مزج صورة الكرم بالشجاعة وهي من الصفات المتلازمة للفرسان وفي ذلك يقول الفازازي في حق النبي i ، فيقول:

بشـــارتهُ موجـــودةٌ قبـــلَ خلقـــهِ و لا خُلـــقَ يُرضـــى كُنهـــهُ بعـــدَ خُلقـــهِ

رؤُفٌ إذا ألـــوى الزمـــانُ برفقـــهِ جـــوادٌ إذا ضَـــنّ الغمـــامُ بودقـــهِ

ففـــي كفـــهِ بحـــرُ النـــدى يتمـــوجُ (٣٣)

فصور لنا الفازازي في هذه الابيات شجاعة النبي و كرمه و هي من أهم الصفات التي يفتخر و يتغنى بها الانسان.

٢ - مكانته بين الأنبياء و الرسل d :

نجد هذه المكانة واضحة و بارزة في فكر المتصوفة بشكل عام و الفازازي بشكل خاص، فقد جهدَ الشعراء إلى ابراز مكانته و قدره بين الانبياء و انهُ ذو منزلة رفيعة عند الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك قال شاعرنا الفازازي:

عفـــا كُـــلُ رســـمٍ للمحـــالِ بحقـــهِ وعظـــمَ ربُ العـــرشِ شـــيمتةَ خُلقـــهِ

ومـــن ذا يمـــاري في عُـــلاهُ وســـبقه قضـــى اللّه أن الرســـل أســـبقُ خلقـــهِ

وأنّ رســـولَ اللّهِ للرســـلِ أســـبقُ(٣٤)

٣- الشوق إلى الديار المقدسة:

نجد اغلب قصائد المديح النبوي قد قيلت في هذا الموضوع، و خصوصاً في بداية القصيدة، فهي نابعة من الشوق للنبي i التي واحتوته هذه البقاع المقدسة، وان أول من قال في هذا هو الشريف الرضي حيث احتوت قصائده المدحية على شعر الحنين و الشوق إلى الديار الحجازية و الاماكن المقدسة ووصف معالمها وما دب فيها من إنسان و حيوان وزرع و شجر، كما اشتهر به حسام الدين عيسى بن سجر الإربلي المعروف بالحاجري، وقد استاطب الشعراء بعدهم هذا اللون في مطلع قصائدهم المدحية لحبهم و شوقهم إلى

رسول الله i [٣٥].

وفي قصائد الفازازي جانب كبير و واسع من هذا اللون من إظهار الشوق إلأ الديار المقدسة و في هذا يقول:

تـــأخرتُ عَنـــهُ حـــينَ عـــزَ تقـــدمي وقلـــبي بنـــارِ الشـــوقِ يُحمـــى فيحتمـــي

ســـأبكي إذا أنفـــدتُ دمعـــي مـــن دمـــي دمـــوعي لبعـــدي عنـــهُ كـــالقطرِ تنـــهمي

ولا طـــبَّ إلا القـــرب إن كـــان يُســـعدُ[٣٦]

٤ - معجزات النبي i :

وان معجزات رسول الله i هي من اقوى الادلة على صدق رسالتة، وهذه المعجزات كانت محط انظار الشعراء فتغنوا بها كثيراً و هي من اهم موضوعات قصيدة المديح النبوي وكان للفازازي نصيب وافر من هذه المعجزات فذكرها في مدائحه النبوية فيقول:

ولم لا وقـــد ســـادَ الأنـــامَ مناقبـــاً وقـــد خـــرقَ الســـبعَ الســـمواتِ راكبـــاً

إلى حضـــرةِ القـــدسِ العليـــة ذاهبـــاً روينـــا لـــهُ في المعجـــزات عجائبـــاً

تـدلُ علـى الـتمكينِ في القُـربِ والنصـرِ[٣٧]

وقد قسم المؤرخون معجزات النبي i إلى اقسام و اشهر هذه الاقسام و اكثرها تداول على ألسنة الشعراء هي:

أ - القرآن الكريم: ان المتلقي لشعر المديح النبوي عند الفازازي يجد اشعار له في عدد من معجزاته i و في مطلعها معجزة القرآن الكريم وهي من اعظم معجزاته عليه السلام و التي وقفت العرب متحيرة امام هذه الكلام البليغ و الاحكام العظيمة ن فهي بحق معجزة خالدة و باقية إلى يوم الحساب، وقد نظم الفازازي في هذه المعجزات فقال عنها:

لقـــد جمـــعَ اللهُ الســـيادةَ كُلهـــا لأحمـــدَ يحويهـــا ويحمـــلُ كلـــها

حِســـانُ الأيـــادي إن عـــداها فمـــن لهـــا ظُبـــاتُ الأعـــادي فلـــها وأذلهـــا

بـذكرٍ حكـيمِ اللفـظِ متصـل الحفـظ[٣٨]

ب - الإسراء و المعراج: وهي المعجزة الثانية بعد نزول القرآن الكريم وهي محل فخر و اعتزاز لكل المسلمين وكان له إثر عظيم في نفوسهم، و تغنى بها الشعراء إلى يومنا هذا و كان للفازازي نصيب منها فيقول:

ألاَ إن ربّ العـــرشِ شـــرفَ أحمـــدا ووافى بـــهِ بُشـــرى وأنجـــزَ موعـــدا

وأســـرى بـــهِ حـــالاً وشـــففعهُ غـــدا جـــرت ليلـــةُ الإســـراء ذكـــراً مُخلـــدا

ومـــــن كرســـــولِ اللهِ يعـــــرجُ (٣٩)

وهذه هي عشرينيات الفازازي و التي هي من كتاب الوسائل المتبقية في مدح النبي i ، للشاعر الوزير الفاضل أبي زيد الفازازي الأندلسي، حيث كتبها في الأندلس و تحديداً في قرطبة عام ٦٠٤هـ، و سميت بهذا الاسم لالتزام الفازازي في نظمها طريقة حسب المعجم، حيث وضع لكل حرف عشرين بيتاً مبتدأ هذا الديوان بالهمزة و منتهياً بالياء و هذا الديوان (القصائد العشرينيات) يعتبر من أهم مصادر المديح النبوي.

وان اغلب قصائد المديح النبوي عند الفازازي كانت في بنائها الشكلي على وفق المخمسات، فقد نظمها على حروف المعجم، و اخذ كل حرف من حروف المعجم فيبدأ البيت به، و كان هذا اسلوب اندلسي هدفه الابتكار و محالولة الابتعاد عن النظام المشرقي، فقد جاهد ادباء الاندلس إلى تغليب الابتكار على التقليد و كان الدوافع كثيرة منها التنافس السياسي بين العباسيين في المشرق و الامويين في الاندلس، و كذلك محاولة اثبات و علو كعب ادباء الاندلس امام الاسماء الكبيرة التي لمعت في المشرق سواء كانت شعراً أو نثراً.

كذلك اتبع الفازازي في موضوعات المديح النبوي الشعراء السابقين من التغني بصفات النبي i و كرمه وشجاعته إلى مكانته بين الانبياء و ذكر الديار المقدسة و معجزاته، ولم يختلف معهم إلا في موضوع الحسد الذي سنطرحه في المبحث التالي.

المبحث الرابع

الحسد في مدائحه النبوية

إن التنافس الحاصل بين اشخاص في اي مجال من مجالات الحياة لابد من نشوء الكثير

من الجوانب الايجابية و السلبية ومن بينها الحسد، فكل من ينعم بخصائص التفوق في اي مجال لن يسلم من الحسد و خصوصاً من المحيطين به، وكما جاء في القول المؤثور " كل ذي نعمة محسود " و الشعر احد الميادين التي دخلها الحسد و نطلق بها الشعراء، لقد اكثر الشعراء وعلى مدى العصور من ذكر الحَسد و الحُساد، وقد أطنبوا في ذكر ذلك الشئ المذموم والتندر بأصحابه، وقد قال عنه الجرجاني بأنه تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد.

وقد عرفه الطاهر بن عاشور فقال: " هو إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير، مع تمني زوالها عنه، لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة، أو على مشاركته الحاسد "(٤٠).

فالحسد في إيجاز بسيط هو تمني زوال نعمة الاخرين، لذلك هو آفةٌ نفسية صدر من شخص ذو طبيعة فاسدة ضعيفة في الشخصية و الإيمان و اهتزاز بثقة الإنسان بنفسه، كذلك يدل هذه الفعل على حماقة الحاسد، هذه هو الحسد بشقه العام.

ننتقل بعد ذلك إلى الحسد في الشعر و تحديداً في قصائد المديح النبوي، فقد كان الشعراء في صراع طويل مع هذه الظاهرة يشتكون منها و يذمون أصحابها كما هو الحال عند المتنبي، وقد يكون هذه الموضوع غريب و غير مألوف خصوصاً في قصائد المديح النبوي، و قد تطرح عدة تساؤلات عن سبب هذا الحسد وكيف وجد وكيف انتشر عند الشاعر، و هل هو موجود عند الجميع ام لا، كل هذه سنجيب عنه داخل هذه النقطة.

وجدَ الحسد في مدائح الفازازي النبوية بصورة واضحة و معلنة و تقريبا يشيرالفازازي في كل قصيدة إليها، و هذه الحسد نابع من مكانته الاجتماعية و قول الشعر الجيد، بل كان غير ذلك، فهو لفظٌ كثير وجب الوقف عليه و الافصاح عن دوافعه في شعر الفازازي.

وذكرنا في بداية حديثنا في هذه الدراسة ان الفازازي بعدما امتاز بالبلاغة و الأسلوب اللغوي الجميل، وكيف برزت نصوصه الشعرية و النثرية، أدى ذلك إلى توليه الكتابة في بلاط الموحدين و اختصاصه بالسيد المنصور الموحدي والي اشبيلية ثم غرناطة، و بعدها اتصل بأخيه ابي العلاء المأمون، و هذا الاتصال كانت له انعكاسات على حياته من جميع النواحي و كيف اصبحت له مكانة متميزة عند الناس.

لكن عند انتهاء عمله في البلاط بسبب خلاف وقع بينه وبين ابي العلاء، وكيف لجأ هذه الاخير لأقعاده في منزله، سبب ذلك إلى شئ من الحزن و الرغبة و الاعراض عن الدنيا و ما فيها من متاعٍ زائع، فقد انكب الفازازي على التصوف و العلوم الدينة و كتابة قصائد المديح النبوي.

ومن هنا انطلق الحسد و كيف كان اصدقائه المقربين و الناس من حوله يلومونه لتركه القصور والبلاط والاعتكاف على العوم الدينية والمدح النبوية، وكان الفازازي يرد عليهم بنفس قصيدة المديح النبوي فمرة يلومهم و مرة يتم تشبيهم بالحُساد، كما في قوله:

أصبتُ من الحسادِ أنفذَ مقتلٍ ... بمدحيَ للهادي النبي المفضلِ

وألزمتهُ فكري فقلتُ لعُذلي ... حقيقٌ علينا مدحُ أفضلِ مُرسلِ

وان كلتِ الأقوالُ عن واجبِ المدحِ[٤١]

نجد لفظة الحسد في اغلب القصائد فهي رسالة لابد ان يوصلها الفازازي إلى منتقديه وحساده، وكان يدعو كثيراً إلى ترك مدح الملوك و الاكتفاء بمدح خير البشر، فنجد انه قد وجه سهم إلى حساده عبر مدح النبي، كذلك نجد ان الفازازي كان ذكياً في موضوع توظيف المفردة لكي تتناسب من النص فالمعروف ان صفات النبي i كثيرة لكن الفازازي قد اختار منها صفة (الهادي) فالشاعر يريد ان يبين انهُ قد هُدي من بعد ضلالة و انشغلال، ثم ينتقل في البيت الثاني و يصفهم ب(العذال) و يبين لهم انه النبي i قد شغل كل شئ عنده، و قد جمع الشاعر في هذا القول بين شيئين الحسد و العذال، ومن ذلك قوله:

ألا فاذكرا المختار تحظو بخيرهِ ... وفي كُل قصدٍ فلتسيروا بسيرهِ

وان تشتروا نفعَ الكلام بضيرهِ ... دعو الامتداحِ المصطفى مدح غيرهِ

فذكرُ رسولِ اللهِ أعلى وأمجد[٤٢]

فالمدائح النبوية عند الفازازي اعلى من كل شئ، فهذه الابيات رد واضح وصريح من الفازازي تجاه كل متردد في نظره، فالمدح عنده لابد من ان ينطلق و يركز على من هو ممجد وعلى من كل مخلوق لان الشعر بحقه هو انفع الشعر، وفي قوله:

أحاسدهُ مُت إن عيشكَ أنكدُ فهـا هـوَ في الدنيا و في الدين سيدُ
يُقادُ بهِ جيشٌ ويُعمرُ مسجدُ دهى الشركَ منهُ مشرفيٌ مهندُ

ورمحٌ رُديني وسهمٌ مُسددُ(٤٣)

في هذه الابيات يتمنى الفازازي لحساده الموت بعد نكد العيش وقد يكونو من غير المسلمين كاليهود مثلاً وهم كثر في بلاد الأندلس و المغرب العربي، وهذا دليل على كثرة المضايقات و الكلام الذي كان يلقى على مسمعه حتى وصل به الامر إلى ان يتمنى موتهم، و هو في هذه الابيات يريد ان يضيف رسالة لهم بأنه ممدوحه هو افضل سيد في الدين و الدنيا، و كذلك نلحظ استخدامه لهذه المفردة (الحسد) في بداية كلامه، فهي في نظر الفازازي متقدمة القول و المكانة ولها الصدارة في الكلام.

وفي قوله:

وما يبتغي الحسادُ ممن أجلهُ كما شاءَ مولاهُ وأسنى محلهُ
وقد جاءهُ منهُ ليُظهرَ فضلهُ كتابٌ عزيزٌ أعجزَ الخلقَ كُلهُ

وكم مُلحدٍ في المحك لجّ ولم يحكِ(٤٤)

الفازازي في هذه الابيات لم يكتفِ بذم الحساد بل اخذ يبين الاسباب التي دفعته لتركه الامراء و وتوجيه شعره لمن حملَ لنا الأمانة وجاء بكتب كريم اعجز الجميع عن الاتيان بمثله، كذلك نجد انه ذكر الالحاد و الملحدين، فدائرة الحساد اتسعت عنده و شملت هنا الملحدين.

اما قوله:

أيا لائمي أقصر اللومِ أو زدِ وخالف و إلا إن عقلت فأسعدِ
فما ددُ مني لا ولا أنا من ددِ نعمتُ بذكرِ الهاشميِ مُحمدِ

وساعدني في مدحهِ اللفظُ والمعنى(٤٥)

يذكر الفازازي في هذه الابيات ان مدحه في النبي i انه قد نعم في ذكره، لا في ذكر غيره، و دائماً ما صرح الفازازي في قصائد المديح النبوي بتقصيره تجاه النبي i وضياع

وقته عند الملوك و الامراء و الانشغال عنه، فاللوم و الحسد واحد في نظر الفازازي، فيمكن القوم ان اللوم كان موجه إلى معارفه و الحسد موجه إلى غيرهم من يهود و ملحدين، ومن ذلك قوله:

قضى القلبُ من عهدِ الشبابِ ديونهُ ... وللشيبِ عهدٌ ينبغي أن نصونهُ

وقد لاحَ و الغاوي يغُصُ جُفونهُ ... لطيبةَ نُورٌ تقصرُ الشمسُ دونهُ

تطابقَ في تحقيقهِ الحسنَ والنقلُ[٤٦]

فالشاعر يبين للمتلقي عن انقضاء حال الشباب بكل تفاصيله، و يشرع بمرحلة جديدة من مراحل حياته وهي مرحلة الاعتكاف و الاختصاص بالعلوم الدينية و قول قصائد مدح النبي i ، كذلك تبين لنا هذه الابيات عن المرحلة و السن التي قال فيها الفازازي قصائد المدح النبوي في سن متأخرة من حياته التي كانت جلها في خدمة الامراء.

كذلك نستنتج من هذه الابيات سبب اخر لايراد لفظة الحسد في مدائحه، وهي ان الفازازي عاش في مرحلة (القرن السادس و السابع الهجري) مهمه و خطرة في الأدب الأندلسي، فهي مرحلة انفتاح الأبواب المغلقة و التناقش في أمور جديدة لم تكن رائجة لدى المجتمع الأندلسي وهي الصراع بين الفقهاء و المتصوفة وبين الفلاسفة و الملحدين من جانب و من جانب اخر أهل البداع، فولد لنا شئ من اللوم المتداخل مع الحسد، وكل هذه اسباب جعلت من لفظه الحسد موضع في مدائح الفازازي النبوية.

يشير الفازازي كثيراً في مدائحه النبوية بالتقصير تجاه النبي i ، وهذه التقصير مرتبط بشكل كبير بالحسد فهما وجهان لعملة واحدة في نظر الفازازي، فيقول:

أتانا وما منا عنِ الغيِ مُقصرُ ... فأصبرَ أعمى واهتدى مُتحيرُ

ففي مدحهِ أنب وأنت مُقصرُ ... كأحمد لم تُبصر و لا أنت مُبصرُ

مُعيناً على التقوى مُغيثاً من الهلكِ [٤٧]

لا يترك الفازازي اي بيت من ابيات المدح النبوي حتى يبين تقصيره في هذه الجانب وكيف انه ابصر بعد ان اصابه العمى و كيف انه اهتدى بعد التحير فهو جامع الاضداد في هذه الابيات لشئين الاول الرد و الاعتراف بالتقصير و الثاني تشويق من يقع على سمعه

هذه الابيات، اما قوله:

ألهفـــي لعمـــرٍ في المحـــالِ أطعتـــهُ سمعـــتُ بـــهِ أمـــرَ الهـــوى أطعتـــهُ

كـــأني لم أعـــرف نبيـــاً عرفتـــهُ بكـــلِ كتـــابٍ للنبـــيينَ نعمتـــهُ

وقـد مـرَّ مـا قـالَ النبيـونَ والكتـبُ[٤٨]

هذه الابيات الجميلة و التي يعترف الشاعرمن خلالها باطاعته العمياء لشئ ما في ايام حياته الاولى، و هذه الاطاعة قد صرفته عن كتاب الله (العوم الدينية) و النبين (محمد).

و هذه اللوم نجده كثيراً، فهو يلوم نفسه عن تقصيره في مدح النبي i و تأخره و انشغاله في امور الكتابة عند الامراء، فيقول:

تـــأخرتُ عنـــهُ حـــينَ عـــزّ تقـــدمي وقلـــبي بنـــارِ الشـــوقِ يُحمـــى فيحتمـــي

ســـأبكي إذا أنفـــذتُ دمعـــي مـــن دمـــي دمـــوعي لبعـــدي عنـــهُ كـــالقطرِ تنـــهمي

ولا طـــبَّ إلا القـــربُ إن كـــانَ يُســـعدُ[٤٩]

في تحسر الفازازي عل ايامه التي قضاها عن الامراء نجد و نلمس شئ من الاحساس الصادق بهذا التحسر و عاطفة طاغية في النص وما ترتب عنها من بكاء و دموع وشوق يكاد يأكل قلبه و دموع تنهمر المطر.

أما قوله:

مـــدحتُ نـــبيّ اللهِ و الحـــقُ أبلـــجُ وطيـــبُ كلامـــي فيـــهِ للهِ يَعـــرجُ

ومـــالي مـــن التقصـــيرِ مـــن بعـــدُ مخـــرجُ زففـــت إليـــهِ مـــدحتي وهـــي بهـــرجُ

علـــى النقـــدِ لـــولا أنـــهُ متجـــاوزُ[٥٠]

يبين لنا الفازازي تقصيره و كيف عالج هذه التقصير بالمدح وان كان مدحه (بهرج) اي ردئ، حتى وان تعرض للنقد.

ويطيل الفازازي كثيراً الحديث عن هذا التقصير فلا نجد قصيدة إلا وبها شئ وتنويه عن هذه التقصير الذي سبب له في ما بعد بروز ظاهرة الحسد في مدائحه النبوية، فيقول:

ألهفـــي لقلـــبٍ لا طبـــبَ لدائـــهِ سـوى التقـربِ مـن نـورِ الهـدى وضـيائهِ
هُـــوَ المصـــطفى للهِ مـــن انبيائـــهِ قواطـــعُ هـــذه الـــدهرِ دونَ لقائـــهِ

قواطـــعُ أحنـــاءَ الضـــلوعِ ثمـــزقُ[٥١]

هذه القواطع التي كانت سبب في ابتعاده وذهابه بعيداً في هذه الدنيا و تسببت له بكثير من المشاكل، حتى تم انه يشبهها بقطعة تمزق و تقطع ضلوعه.

أما قوله:

بنفســـيَ و المشـــتاقُ يُبـــدي فنونـــهُ حبيـــبٌ ســـبا أبكـــارَ فكـــري وعونـــهُ
رأيـــتُ سُـــهولَ العـــيشِ عنـــهُ حُزونـــهُ هجـــرتُ لذيـــذَ الأنـــسِ في العـــيشِ دونـــهُ

وحـــزني لنـــأيي عنـــهُ أول وأشـــبهُ[٥٢]

يقر الفازازي في هذه الابيات انه ترك العيش الكريم في القصور ولجأ إلى غير ذلك ممن يوفر له راحه البال وكسب الاخرة، وهو ترك السلطان والتوجه لمدح النبي i .

وفي ابيات اخرى نجد ان الفازازي يعترف بأنه قد ضل في حياته الاولى وانه الان قد وجد طريق الهداية و هذا الطريق قد كلفه كثيراً من مكانة اجتماعية مرموقة و منصب في بلاط الامراء إلى غير ذلك من امتيازات، اضافة إلا ان هذه الهداية كانت سبب مباشر في الحسد و اللوم الملقلا عليه، فيقول:

ضـــللنا فَوافانـــا بنُـــورِ هدايـــةٍ نجونـــا بـــهِ مـــن إفـــكِ كُـــلِ غوايـــةٍ
نظرنـــا فلـــم نحصـــل لـــهُ عنـــدَ غايـــةٍ نقلنـــا لـــهُ عـــن صـــحةٍ ألـــفَ آيـــةٍ

وهـل تُنكـرُ الأزهـارُ في الروضـةِ الغنـا[٥٣]

وفي نفس القصيدة يقول:

تقاصـــرَ عـــن أمتداحـــهِ قـــدرُ نظمنـــا فـــنحنُ نُحليـــهِ بمبلـــغِ فَهمنـــا
عســـانا بعفـــو اللهِ عـــن ســـوء جرمنـــا نُحـــقُ بـــهِ يـــومَ الحســـابِ لعلمنـــا

بـــأنّ لـــهُ جاهـــاً بامتـــهِ يُعـــنى[٥٤]

فهذا التقصير عند الفازازي في مدح النبي كان سببه الانشغال في القصور و المباني الجميلة في الأندلس، فقد كان دائماً ما يشير الشاعر بعفو النبي i هن هذه التقصير و الصفح عنه في كثير من المواضع.

وقوله كذلك في مدح النبي i :

عســـى بعـــدَ العُســـرِ يُســـرٌ يـــذودُها ... فيقـــربُ مـــن دارِ الحبيـــبِ بعيـــدها

ومهمـــا طلبناهـــا فعـــزَ وجودهـــا ... رجعنـــا إلى أمداحـــهِ نســـتعيدها

فهـا نحـنُ نستشـفي بهـا أمـدَ الـدهرِ[٥٥]

اقتبس الفازازي ح من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥٦]، يشر إلى حاله وضلاله بعد افتراقه وابتعاده عن مدح النبي i وانه سيصيبه اليسر بعد هذه العسر الذي سيطره عليه و على قوله فهو شفاء له من كل داء.

ووجدنا من خلال الابيات السابقة و التي ضُمنت بلفظة الحسد ان الفازازي كان ذكياً في هذه الموضوع، و هذا الذكاء ينطلق من الاستعمال الأنسب للمفردة و توظيفها داخل البيت الشعري اولاً، و ثانياً لم يكتفِ بذكر حُساده بل اخذ يرد عليهم و يلوم لومهم و يبين لهم سبب تركه للامراء و الاعتكاف على ذكر صفات هذه الشخصية و ما لها مميزات بأسلوب جميل و ذو منطق نابع من تجربة إسلامية قائم على الرد و الافهام لا على التعصب و الانهزام وراء شخصية عظيمة كشخصية النبي i .

فالملاحظ في هذه الابيات انها اتفقت مع لفظه الحسد مع الفازازي شكلياً لكنها تختلف في المضمون، فالفازازي كان الحسد يدور حول حساده و الذين وجهوا اللوم إليه لتركه القصور والاعتكاف على العلوم الدينية و المديح النبوي و كذلك لليهود.

الخاتمة:

١ - قصيدة المديح النبوي في الأدب الأندلسي كانت تختلف في البناء العام عن المشرق، فقد كان اغلب الشعراء ينظمون على شكل مخمسات و عشريات كما هو الحال عند

الفازازي، و هذه الاختلاف بين البيئات و تحديداً بين بيئة المشرق و الأندلس كان سببه الابتكار و التفوق على حساب الاخر، فقد سعى الكتاب و الشعراء في الأندلس إلى ابراز مكانتهم و علو كعبهم على المشارقة، و هذا الاختلاف لم يقتصر على الشكل العام، بل وصل إلى دوافع القول و غايته فمثلاً بيئة الأندلس وما حوت من مظاهر الطبيعة والرخاء تختلف عن بيئة العراق والصراعات والتهديدات الخارجية فنلاحظ حتى الالفاظ تختلف في شدتها وقوة نبرتها من بيئة إلى اخرى.

٢ - كان الفازازي من الشعراء الذين ينادون بشرعية قصائد المديح النبوي و ابتعادها عن الغلو والمبالغة وكان كثيراً ما يدعوا الشعراء إلى الاتزان في مدح النبي محمد i ، وكان الفازازي في صراع دائم مع عدو داخلي فهو كثيراً ما كان يلوم نفسه في قصائده ويطلب العفو من الله ورسوله تجاه تقصيره.

٣ - الفازازي كان منشغلاً في سنوات عمره الأولى لدى الأمراء و هذا يفسر وجود المواضيع ذات النزعة السياسية واخرى ذات الطابع الديني في نتاجه الشعري ولم يدرك ضياع سنين عمره إلا بعد وقت طويل فقد اخذ يلوم نفسه مما انعكس على لغته الشعرية.

٤ - استحدث الفازازي انواع جديدة ضمن قصائد المدح النبوي، فقد نظم في المخمسات والمعشرات بأسلوب شيق ولغة سليمة وكذلك وجدنا عنده الحسد وكيف يرد على الحساد بالدلائل والاخبار، وقد ظهرت الاستحداث في قصيدة المديح النبوي عند الأندلسيين في عصر حياة الشاعر، و لكن هذا الاستحداث لم يكن لدى جميع الشعراء بل اقتصر على عدد معين منهم.

٥ - الفازازي يسأل كثيراً في ابياته و قصائد المديح لديه، فهو كثير التسائل وطرح علامات الاستفهام على طول القصائد، فقد ربط الشاعر بين الاستفهام و الحسد، و كأنه يريد ان يوصل رسالة إلى شخص معين لم يسمه بأسمه قد لامهُ على قول المدح النبوي و ترك ملازمة الأمراء.

٦ - أسلوب الفازازي يختلف كثيراً عن أسلوب شعراء اخرين خصوصاً في موضوع الحسد فقد كانت لنزعته الإسلامية إثر بالغ في ذلك فهو ناصح و طارح للسؤال قبل

اللوم ويعتمد على ابراز الشواهد، في جانب اخر نجد لوم الحسد و الحساد بكلامٍ جارح كما هو الحال عند المتنبي و غيرهم عن قولهم بيت خاص بذم الحسد.

٧ - لم يترك الفازازي المتلقي لقصيدة المديح النبوي في حيرة، بل وضح له من هم الحُساد وجمع بين الحسد و الانواع المنطوية تحته كالعذال مثلاً حيث كان يجمع بين شيئين في بيت واحد، و كانت لفظه الحسد لها الصدارة في الكام فهي مميزة و ذو مكانة متقدمة عند الفازازي.

هوامش البحث

(١) لسان لعرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، مادة: مدح، ج ١٦، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، مادة مدح، دار صادر بيروت، دط، ١٩٦٥ م، ص٥٨٥.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد ابن أحمد الإبشيهي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط، ١٤٢٢ ه- ٢٠٠١ م، ج ١، ص ٣٤١.

(٤) سورة القلم: الآية ٤.

(٥) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٥٤ م. ص٣٩.

(٦) ينظر: أروع ما قيل في المديح، إميل ناصف، (د، ط)، دار الجيل، بيروت، (د، ت) ص ٨-٩.

(٧) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٢م، ص ١٤٢.

(٨) طبقات فحول الشعراء، محمد ابن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، السفر الأول، شركة القدس للنشر والتوزيع، مطبعة دار المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ص ٢٤٤-٢٣٣.

(٩) ينظر: معجم أعلام شعراء المديح النبوي، محمد أحمد درنيقة، الطبعة الاولى، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ٥٥.

(١٠) المدائح النبوية، محمد علي مكي، الطبعة الأولى، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩١، ص ٩.
(١١) ينظر: اثار ابي زيد الفازازي، تقديم و تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرمط، دار قتيبة للطباعة و النشر، بيروت، ط ١، ١٩٩١، ص ٧.
(١٢) برنامج شيوخ الرعيني، ابو الحسن الرعيني الاشبيلي، ت: إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢، ص ١٠١.
(١٣) ينظر: اثار ابي زيد الفازازي، ص ٩.
(١٤) ينظر: الإحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ت: يوسف علي الطويل، ط ١، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ٣٩٥.
(١٥) ينظر: اثار ابي زيد الفازازي، ص ١٥.
(١٦) ينظر: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨، ج ٥، ص ٣٥٥.
(١٧) ينظر: اثار ابي زيد الفازازي، ص ١٢.
(١٨) ينظر: برنامج شيوخ الرعيني ص ١٠٢ – ١٠٣.
(١٩) ينظر: برنامج شيوخ الرعيني، ص ١٠٤ – ١٠٥
(٢٠) ينظر: فجر الأندلس، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٣٣.
(٢١) ينظر: اثار ابي زيد الفازازي، ص ١٥ .
(٢٢) ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ضبط و تقديم: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج، ٣، ط ١، ٢٠٠٣، ١٢٣.
(٢٣) أثار ابي زيد الفازازي، ص ٦.
(٢٤) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، تحقيق: عبد الحليم النجار، ج ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ ص ١٣٢.
(٢٥) ينظر، برنامج شيوخ الرعيني ص ١٠٢.
(٢٦) أثار ابي زيد الفازازي، ص ١٩ .
(٢٧) أثار ابي زيد الفازازي، ص ١٩ .
(٢٨) نفخ الطيب، المقري، ٤٦٨/٤.
(٢٩) نفخ الطيب، المقري، ٤٦٨/٤.
(٣٠) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٢٠.
(٣١) القرآن الكريم، سورة القلم، ٤.
(٣٢) السنن الكبرى، احمد بن الحسين الخرساني، أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ ١٥٩/٦.
(٣٣) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٢٣.

(٣٤) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٠٢ .
(٣٥) ينظر: المدائح النبوية في أدب القرنين السادس و السابع الهجري، ناظم رشيد، دار آفاق عربية، بغداد، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ، ص ٤٧ -٤٨.
(٣٦) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٤١ .
(٣٧) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٥٠ .
(٣٨) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٨١.
(٣٩) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٢٥ .
(٤٠) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ص ٦٢٩.
(٤١) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٢٦ .
(٤٢) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٣٧ .
(٤٣) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٣٩ - ٤٠ .
(٤٤) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٠٨ .
(٤٥) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١١٩ .
(٤٦) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١١٠ .
(٤٧) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٠٨ .
(٤٨) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٩ .
(٤٩) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٤١ .
(٥٠) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٥٦ .
(٥١) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٠٣
(٥٢) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٢٧ .
(٥٣) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٢١ .
(٥٤) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ١٢١ .
(٥٥) ديوان الوسائل المتقبلة، ص ٥١.
(٥٦) القران الكريم، الشرح، الاية ٥ .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

١ - ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ضبط و تقديم: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج، ٣، ط ١، ٢٠٠٣.

٢ - اثار ابي زيد الفازازي، تقديم و تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرمط، دار قتيبة للطباعة و النشر، بيروت، ط ١، ١٩٩١ .

٣- الإحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ت: يوسف علي الطويل، ط ١، ج ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

٤- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٢م.

٥- أروع ما قيل في المديح، إميل ناصف، (د، ط)، دار الجيل، بيروت، (د، ت) .

٦- أساس البلاغة، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، مادة مدح، دار صادر بيروت، (د - ط)، ١٩٦٥.

٧- برنامج شيوخ الرعيني، ابو الحسن الرعيني الاشبيلي، ت: إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ١٩٦٢.

٨- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، تحقيق: عبد الحليم النجار، ج ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.

٩- التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

١٠ - السنن الكبرى، احمد بن الحسين الخرساني، أبو بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣ .

١١ - طبقات فحول الشعراء، محمد ابن سلام الجمحي، ت: محمود محمد شاكر، السفر الأول، شركة القدس للنشر والتوزيع، مطبعة دار المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

١٢ - فجر الأندلس، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥.

١٣ - قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طبانة، مطبعة مخيمر، القاهرة، ١٩٥٤ م.

١٤- لسان لعرب، ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، مادة: مدح، ج ١٦، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

١٥- المدائح النبوية، محمد علي مكي، الطبعة الأولى، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩١.

١٦ - المدائح النبوية في أدب القرنين السادس و السابع الهجري، ناظم رشيد، دار آفاق عربية، بغداد، الطبعة الاولى، ١٤٢٣ هـ .

١٧- المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الأولى ١٩٣٥.

١٨ - المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد ابن أحمد الإبشيهي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط، ١٤٢٢ ه- ٢٠٠١ م، ج ١.

١٩ - معجم أعلام شعراء المديح النبوي، محمد أحمد درنيقة، الطبعة الاولى، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ٢٠٠٣ .

٢٠ - نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨، ج ٥ .